

كتاب دانيال - رقم مئة وأحد عشر

كشف النقاب عن الدلالة النبوية لأبي بكر في الويل الأول من سفر الرؤيا

Jeff Pippenger

2024-03-02

في السرد النبوي للويل الأول، كان القائد الذي خلف محمداً هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة، والد زوجة محمد. وسنشير إليه باسم أبوبكر. ويشار إليه وإلى محمد في الأعداد الأربعة الأولى. كان أبوبكر أول حاكم إسلامي بعد محمد، وتسجل المصادر التاريخية أمراً أصدره لجنوده، وهو ما يمثل في العدد الرابع من الإصحاح التاسع من سفر الرؤيا. ويمثل ذلك الأمر عملية الختم التي بدأت عند مجيء الويل الثالث، الذي هو أيضاً البوق السابع، وهو أيضاً مجيء الملوك الثالث.

ونفخ الملوك الخامس في البوق، فرأيت كوكباً سقط من السماء إلى الأرض، وأعطي له مفتاح بئر الهاوية. ففتح بئر الهاوية؛ فصعد دخان من البئر كدخان أتون عظيم، فأظلمت الشمس والهواء من أجل دخان البئر. وخرج من الدخان جراد على الأرض، وأعطي لها سلطان كما لعقارب الأرض سلطان. وقيل لهم ألا يضرُوا عشب الأرض، ولا شيئاً أخضر، ولا شجرة، بل فقط أولئك الناس الذين ليس على جباههم ختم الله. رؤيا 9: 1-4.

إن "النجم" الذي سقط من السماء كان محمداً، الذي بدأ رسالته في سنة 606. وقد أعطي "مفتاحاً" لـ"يفتح" "الهاوية" التي لا قرار لها، بما يسمح لـ"الدخان" أن يظلم "الشمس والهواء"، ويخرج "جراداً" أعطي "سلطاناً" كسلطان "العقارب". كان المفتاح معركة أضعفت القوة العسكرية للرومان، مما أتاح صعود حرب الإسلام. "الهاوية" التي لا قرار لها" رمز للجزيرة العربية، مهد الإسلام، وكان "الدخان" يمثل الدين الباطل للإسلام الذي كان مزمماً أن ينتشر في الأرض ويستولي على الرقعة الجغرافية ذاتها التي تجتاحها أسراب الجراد التي تجتاح شمال أفريقيا وجنوب أوروبا والجزيرة العربية. كان "الجراد" رمزاً للإسلام، و"السلطان" نبويًا يمثل القوة العسكرية. وكان سلطانهم كالعقارب التي تضرب بغتة. يقول يوريا سميث:

سقط كوكب من السماء إلى الأرض؛ وأعطي له مفتاح بئر الهاوية.

"وبينما كان ملك الفرس يتأمل عجائب براعته وسلطانه، تلقى رسالة من مواطن مغمور في مكة، يدعوه إلى الإقرار بمحمد رسولاً لله. رفض الدعوة ومزق الرسالة. 'هكذا، صرخ النبي العربي، 'سيمزق الله ملكه، ويرفض دعاء كسرى.' وإذ كان على تخوم هاتين الإمبراطوريتين في الشرق، كان محمد يرقب بفرح خفي تقدم التدمير المتبادل؛ وفي غمرة انتصارات الفرس تجرأ علي التنبؤ بأن النصر سيعود مرة أخرى إلى رايات الروم قبل انقضاء سنين كثيرة. 'في الوقت الذي يقال إن هذا التنبؤ قد صدر فيه، لم تكن نبوءة أبعد عن التحقق، إذ إن السنوات الاثنتي عشرة الأولى من حكم هرقل كانت تنذر بانحلال الإمبراطورية الوشيك.' ..

أخضع كسرى الممتلكات الرومانية [في] آسيا وأفريقيا. و'الإمبراطورية الرومانية' في تلك الفترة انحصرت داخل أسوار القسطنطينية، مع بقية من اليونان وإيطاليا وأفريقيا، وبعض المدن الساحلية على الساحل الآسيوي، من صور إلى طرابزون. لقد أفتعت خبرة ست سنوات في نهاية المطاف الملك الفارسي بأن يتخلى عن فتح القسطنطينية، وأن يحدد الجزية السنوية لهدء الإمبراطورية الرومانية — ألف وزنة من الذهب، وألف وزنة من الفضة، وألف حلة حريرية، وألف حصان، وألف عذراء. وقد قبل هرقل بهذه الشروط المخزية. غير أن الوقت والمهلة اللذين حصل عليهما ليجمع تلك الكنوز من فقر الشرق استغللاً بجد في الإعداد لهجوم جريء ويائس.

ازدري ملك فارس السراسني المغمور، وسخر من رسالة نبي مكة المزعوم. وحتى إسقاط الإمبراطورية الرومانية لم يكن ليفتح باباً للمحمدية، ولا لتقدم الدعاة السراسنة المسلحين لدعوة زائفة، مع أن ملك الفرس وخاقان الأفار (خليفة أتيليا) كانا قد اقتسما بينهما بقايا ممالك القباصرة. وقد سقط كسرى نفسه. لقد أنهكت الملكيتان الفارسية والرومانية قوى بعضهما بعضاً. وقبل أن يوضع سيف في يد النبي الكاذب، كان قد انتزع من أيدي الذين كان من شأنهم أن يوقفوا مسيرته ويحطموا قوته.

منذ أيام سكيبيو وحنبل، لم يُقدّم أحد على حملة أجراً من تلك التي أتمّها هرقل لإنقاذ الإمبراطورية. سلك طريقاً محفوفاً بالمخاطر عبر البحر الأسود وجمال أرمينيا، وتوغّل إلى قلب فارس، وحمل جيوش الملك العظيم على العودة للدفاع عن بلادهم النازفة.

في معركة نينوى، التي دارت بضراوة من طلوع الفجر حتى الساعة الحادية عشرة، أخذ من الفرس ثمانية وعشرون لواءً، فضلاً عن تلك التي ربما كسرت أو مزقت؛ وقطّع معظم جيشهم إرباً إرباً، وقضى المنتصرون الليل في ساحة القتال يخفون خسائرهم. ولأول مرة فتحت مدن آشور وقصورها أمام الرومان.

لم تزد الإمبراطور الرومانيّ الفتوحات التي حققها قوة؛ وقد مهّد في الوقت نفسه، وبالوسائل ذاتها، طريق لجحافل السراسنة من جزيرة العرب، كجراي من تلك الجهة نفسها، الذين نشروا في مسيرهم العقيدة المحمدية المظلمة والمضيلة، فسرعان ما اجتاحوا كلّاً من الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية.

لا يمكن أن يُبتغى توضيح أكمل لهذه الحقيقة مما تقدمه الكلمات الختامية من الفصل لجيبون الذي أخذت منه الاقتباسات السابقة. "مع أنه قد تكون جيش منتصر تحت راية هرقل، يبدو أن الجهد غير الطبيعي قد استنفد قواهم بدلاً من أن يقويها. وبينما كان الإمبراطور يحتفل بالنصر في القسطنطينية أو القدس، كانت بلدة مغمورة على تخوم سورية تنهب على يد السراسنة، وقد قطعوا إرباً بعض الجنود الذين تقدموا لنجدة البلدة، وهي حادثة عادية وتافهة لولا أنها كانت تمهيداً لثورة عظيمة. كان هؤلاء اللصوص رسل محمد؛ وقد خرجت بسالتهم الجنوبية من الصحراء؛ وفي السنوات الثماني الأخيرة من حكمه خسر هرقل للعرب الأقاليم نفسها التي كان قد أنقذها من الفرس."

'روح الخداع والحماسة، التي ليس مسكنها في السماوات،' أطلقت على الأرض. لم تكن البئر الهاوية تحتاج إلا إلى مفتاح لفتحها، وكان ذلك المفتاح سقوط كسرى. لقد مزق بازدراء رسالة مواطن مغمور من مكة. ولكن حين هبط من 'وهج مجده' إلى 'برج الظلام' الذي لا تنفذ إليه عين، كان اسم كسرى ليطويه النسيان فجأة أمام اسم محمد؛ وبدا أن الهلال لم يكن ينتظر طلوعه إلا حتى سقوط النجم. أما كسرى، فبعد هزيمته التامة وفقدانه إمبراطوريته، فقد اغتيل سنة 628؛ وعام 629 يتميز بفتح جزيرة العرب 'وأول حرب للمحمدين ضد الإمبراطورية الرومانية'. 'ونفخ الملاك الخامس في البوق، فرأيت كوكباً يسقط من السماء إلى الأرض؛ وأعطي له مفتاح البئر الهاوية. ففتح البئر الهاوية.' سقط إلى الأرض. عندما نُهكت قوة الإمبراطورية الرومانية، وكان الملك العظيم للشرق ملقى ميتاً في برج ظلامه، كان نهب مدينة مغمورة على حدود سورية 'مقدمة ثورة جبارة'. 'كان اللصوص رسل محمد، وقد خرجت شجاعتهم الهوجاء من الصحراء.'

"الهاوية.- يمكن معرفة معنى هذا المصطلح من اليونانية، التي تُعرّف بأنها 'عميق، بلا قرار، عميق الغور، وقد يشير إلى أي مكان خراب، موحش، وغير مزروع. ويطبق على الأرض في حالتها الأصلية من الفوضى. تكوين 1:2. وفي هذه الحالة قد يشير على نحو مناسب إلى القفار المجهولة في صحراء الجزيرة العربية، التي انطلقت من حدودها جموع السراسنة كأسراب الجراد. وقد يمثل سقوط كسرى، ملك فارس، على أنه فتح الهاوية، إذ إنه مهد الطريق لأتباع محمد ليخرجوا من

بلادهم المجهولة، وينشروا عقائدهم المضلّة بالنار والسيّف، حتى بسطوا ظلّامهم على سائر الإمبراطورية الشرقية." أوربا سميث، دانيال والرؤيا، 495-498.

الويل الأول، وهو البوق الخامس، يحدّد بداية حرب الإسلام ضد روما، ويشير إلى معركة بين روما وفارس غلبت فيها روما، لكنها في ذلك استنزفت قوتها العسكرية إلى حد أنها لم تستطع منع صعود القوة الإسلامية. إن السمات النبوية للويل الأول والويل الثاني تحدد السمات النبوية للويل الثالث، ومن المهم إدراك الويلين الأول والثاني بوصفهما رمزين لتاريخ الويل الثالث، لأن ذلك التاريخ يمثل فترة ختم المئة والأربعة والأربعين ألقاً، التي بدأت في 11 سبتمبر 2001. بعد التاريخ النبوي الذي يمثّله محمد في الآيات الثلاث الأولى، تقدّم الآية الرابعة أبا بكر، أول قائد بعد محمد.

وقيل لهم ألا يضرّوا عشب الأرض، ولا شيئاً أخضر، ولا أي شجرة؛ إلا الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم. سفر الرؤيا 9:4.

أمرُ أبي بكر المقاتلين المسلمين أن يميّزوا بين نوعين من العابدين الذين كانوا في أراضي الروم آنذاك. كان أحدهما الكاثوليك، وكان لبعضهم رتب دينية تحلق مؤخر رؤوسهم (الحلاقة الرهبانية)، وكانوا يلتزمون بعبادة يوم الأحد. أما الصنف الآخر فكانوا يحفظون سبت اليوم السابع، والسبت هو ختم الله.

بعد وفاة محمد، خلفه في القيادة أبو بكر سنة 632م، وما إن رسّخ سلطته وحكومته حتى وجّه منشوراً عاماً إلى القبائل العربية، ومما جاء فيه ما يلي:

'عندما تقاتلون حروب الرب، فأبلوا بلاءً حسناً كالرجال، من غير أن تولّوا الأدبار؛ ولكن لا تدعوا نصركم يتلخّ بدماء النساء والأطفال. لا تهلّكوا نخلًا، ولا تحرقوا حقول الحبوب. ولا تقطعوا الأشجار المثمرة، ولا تسيئوا إلى الماشية، إلا ما تذبجونه للأكل. وإذا أبرمتهم عهداً أو شرطاً، فوقوا به، وكونوا على قدر كلمتكم. وفي مسيركم ستجدون أناساً متدينين يعتزلون في الأديرة، وقد عزموا أن يعبدوا الله على تلك الطريقة؛ فدعوهم وشأنهم، ولا تقتلوهم ولا تهدموا أديرتهم. وستجدون صنفاً آخر من الناس ينتمون إلى مجمع الشيطان، الذين قمع رؤوسهم محلوقة؛ فاشقّوا جماجمهم، ولا تبقوا عليهم حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية.'

لا يُقال في النبوءة ولا في التاريخ إن التوجيهات الأكثر إنسانية امتثل لها بدقة كما امتثل للأمر الشرس؛ ولكن هكذا أمروا. والتعليمات السابقة هي التعليمات الوحيدة التي سجّلها جيون بوصفها صادرة عن أبي بكر إلى القادة الذين كان من واجبهم إصدار الأوامر إلى جميع جيوش السراسين. والأوامر تبدي التمييز نفسه الذي تبديه النبوءة، كان الخليفة نفسه كان يعمل في طاعة معلومة ومباشرة لأمر أعلى من أمر الإنسان الفاني؛ وفي فعل خروجه ذاته لمحاربة دين يسوع، ولنشر المحمدية بدلاً منه، كرر الكلمات التي قيل في رؤيا يسوع المسيح إنه سيقولها.

ختم الله في جباههم.— في تعليقات على الإصحاح 7:1-3، بيّن أن ختم الله هو سبت الوصية الرابعة؛ وليس التاريخ صامتاً عن حقيقة أنه وجد محافظون على السبت الحق طوال العصر الحاضر. غير أن سؤالاً قد ثار هنا لدى كثيرين: من هم أولئك الرجال الذين كان لهم في ذلك الوقت ختم الله في جباههم، فصاروا بذلك بمنأى عن الاضطهاد المحمدي؟ ليضع القارئ في اعتباره الحقيقة التي أشير إليها آنفاً، وهي أنه وجد طوال هذا العصر أناس لهم ختم الله في جباههم، أو كانوا محافظين واعين على السبت الحق؛ وليتأمل كذلك أن ما تؤكده النبوءة هو أن هجمات هذه القوة التركية المخربة ليست موجهة ضدهم، بل ضد فئة أخرى. وبذلك يتخلص الموضوع من كل صعوبة؛ لأن هذا كل ما تؤكده النبوءة في الواقع. ولا يؤتى في النص على ذكر مباشر إلا لفئة واحدة من الناس، وهم الذين ليس لهم ختم الله في جباههم؛ وأما حفظ الذين لهم ختم الله فيهم ضمناً فقط. وعليه، لا نتعلم من التاريخ أن أحداً من هؤلاء تورط في أي من الكوارث التي أنزلها

السراسنة بمن صَبَّوا عليهم كراهيتهم. لقد كُفِّوا ضد فئة أخرى من الناس. وإن الهلاك المزمع أن يحل بهذه الفئة من الناس لم يوضع في مقابلة حفظ رجال آخرين، بل فقط في مقابلة حفظ ثمر الأرض وخضرتها؛ إذ قيل: لا تضرُّوا العشب، ولا الأشجار، ولا شيئاً أخضر، بل فئة معينة من الناس فقط. وفي تميم ذلك، نرى مشهداً غريباً لجيش من الغزاة يعفو عن الأشياء التي اعتادت مثل هذه الجيوش أن تدمرها، أي وجه الطبيعة ومنتجاتها؛ وبمقتضى الإذن بإيذاء أولئك الذين ليس لهم ختم الله في جباههم، كانوا يشقون جماجم طائفة من رجال الدين ذوي الهامات المحلوقة، الذين كانوا ينتسبون إلى مجمع الشيطان.

هؤلاء كانوا بلا شك طائفة من الرهبان، أو قسماً آخر من أقسام الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وجهت ضدهم أسلحة المحمديين. ويبدو لنا أن ثمة ملاءمة خاصة، إن لم نقل قصداً، في وصفهم بأنهم الذين ليس لهم ختم الله على جباههم؛ إذ إن تلك هي بعينها الكنيسة التي جرّدت ناموس الله من ختمه، بنزع السبت الحقيقي، وإقامة بديل مزيف مكانه. ولا نفهم، لا من النبوة ولا من التاريخ، أن الأشخاص الذين أوصى أبو بكر أتباعه ألا يعتدوا عليهم كانوا يمتلكون ختم الله، أو أنهم بالضرورة يشكلون شعب الله. من كانوا، ولأي سبب عصموا، فإن الشهادة الشحيحة لجبيون لا تخبرنا بذلك، وليس لدينا وسيلة أخرى للمعرفة؛ غير أن لدينا كل سبب يدعونا للاعتقاد بأن أحداً من أولئك الذين كان لهم ختم الله لم يمسّ بأذى، بينما طائفة أخرى، التي لم يكن لديها ذلك على وجه التأكيد، قُتلت بالسيف؛ وهكذا تتحقق تفاصيل النبوة تحقّقاً وافياً. أوربا سميث، دانيال والرؤيا، 502-500.

وحدّ أبو بكر أتباع محمد في خلافة بعد وفاة محمد، لذا، على الرغم من أنهما شخصيتان تاريخيتان مختلفتان، فإنهما إذا أخذنا معاً يمثلان بداية شهادة الإسلام للويل الأول، والشخصية التاريخية التي تسم تاريخ الويل الأول هي محمد.

في بداية تاريخ الويل الثاني، فتح محمد الثاني القسطنطينية عام 1453. وفي عام 1449 أُطلق سراح أربعة ملايين المسلمين. وتميّزت بداية الويل الأول ونهايته بمحمد: الأول ثم الثاني على الترتيب. ونبوياً، فإن بداية تاريخ الويل الأول ونهايته تحملان سمة الألف والياء.

تتضمن بداية الويل الثاني نبوءة زمنية عن أربعة ملايين، يمثلون الإسلام، الذين أُطلقوا حينئذ، ثم قيّدوا في 11 أغسطس 1840. ومن ذلك الوقت حتى 22 أكتوبر 1844، يصور ختم المئة والأربعين والأربعين ألفاً. إن بداية الويل الثاني تحدد إطلاق الإسلام، ونهايته تشير إلى تقييد الإسلام. كلا الويلين الأول والثاني لهما علامات نبوية دقيقة تربط بداياتهما بنهاياتهما.

يجب وضع الويلين الأولين أحدهما فوق الآخر، «سَطراً على سطر»، لتحديد الويل الثالث. إحدى السمات النبوية التي يحددها الشاهدان الأولان للإسلام هي أنهما يمثلان فترة زمنية محددة تميّز بدايتها ونهايتها بتوقيع الألف والياء. كما أن لهما توقيعاً ثانوياً، إذ إن بداية الويل الأول تشير إلى ختم شعب الله، وكذلك نهاية الويل الثاني تشير إلى ختم شعب الله.

حلّ الويل الثالث عندما هاجم الإسلام فجأة وبشكل غير متوقّع وحشّ الأرض المذكور في سفر الرؤيا الإصحاح الثالث عشر، وبذلك بدأت فترة الختم. وينتهي ختم المئة والأربعين والأربعين ألفاً عند قانون الأحد القريب، ورداً على ذلك الارتداد يتبع الارتداد القومي خراب قومي. وكما رمز إليه في روما الوثنية وروما البابوية، يتحقق الخراب القومي بدينونات الأبواق الإلهية. والويلات الثلاثة هي أيضاً أبواق. وسيضرب إسلام الويل الثالث فجأة وبشكل غير متوقّع مرة أخرى عند قانون الأحد القريب في الولايات المتحدة، عندما تنتهي فترة ختم المئة والأربعين والأربعين ألفاً. وقد ميّلت تلك الفترة ببداية فترة الويل الأول، وكذلك بنهاية فترة الويل الثاني.

سواصل هذه الدراسة في المقال التالي.

ورأت سارة ابن هاجر المصرية، الذي ولدته لإبراهيم، وهو يسخر. فقالت لإبراهيم: اطرده هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لن يرث مع ابني إسحاق. فساءة الأمر جداً في عيني إبراهيم بسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم: لا يسؤ في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأن إسحاق يدعى لك نسل. وأما ابن الجارية أيضاً فسأجعله أمة، لأنه من نسلك. فبكر إبراهيم صباحاً، وأخذ خبزاً وقربة ماء، وأعطاهما لهاجر، وجعل القربة على كتفها، وأعطاهما الولد، وصرفها. فمضت وتاهت في بركة بئر سبع. ولما نفذ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الشجيرات. ومضت وجلست مقابله على مبعدة، نحو رمية قوس، لأنها قالت: لا أرى موت الولد. وجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت. فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما لك يا هاجر؟ لا تخافي، لأن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو. قومي، ارفعي الغلام وشدي يدك به، لأنني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام، فكبر وسكن في البرية، وصار رامياً بالقوس. التكوين 9:21-20.